محاضرة

الفتاة المسلمة ومتطلبات تربيتها في مجتمع اليوم

للدكتور محمود ابراهيم
الاستاذ المساعد بكلية الاداب في الجامعة الاردنية

٢٤

منشورات
وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

انطلاقاً من ايمان وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية بنشر الفكر الاسلامي، لتوعية الجماهير ولتبصيرهم بأمور دينهم، فقد اقامت موسمها الثقافي الثاني سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م. وقد حاضر في هذا الموسم العديد من رجال الفكر والعلم والادب، ومن هؤلاء الدكتور محمود ابراهيم الاستاذ المساعد بكلية الاداب في الجامعة الاردنية حيث ألقى محاضرته القيمة بعنوان: «الفتاة المسلمة ومتطلبات تربيتهـا في مجتمع اليوم»، وذلك في قاعة القسم الداخلي لطلبة كلية الشريعة في جبل اللويبده في الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين ١٩ رجب ١٣٩٢ هـ الموافق ١٩٧٢/٨/٢٨ م.

ونظراً لأهمية هـــذه المحاضرة، فقد رأت الوزارة نشرها حتى يتسنى للجميع الاطلاع عليهـا والاستفادة منهـــا، خاصة الآباء والامهات، وفتيات اليوم، أمهات المستقبل.

الوزارة

بسم الله الرحمن الرحيم

* (الفتاة المسلمة ومتطلبات تربيتها في مجتمع اليوم .....) *

مدخل

ربما كانت الكتابة عن الفتاة المسلمة ومتطلبات تربيتها في مجتمع اليوم من الموضوعات التي تجتذب المرأة اكثر مما تجتذب الرجل، باعتبار الموضوع خاصاً بالمرأة ، ومن ثم فهو اشد التصاقا بمشاكلها وهمومها وتطلعاتها ، وهي اقدر على تصوره وتمثله والحديث عنه ...

ولكنني وجدت نفسي بالرغم من ذلك مندفعاً الى الكتابة فيه ، محفوزاً بعدة عوامل ...

وأول هذه العوامل اعتقادي القائم على التجربة ، انه لا سبيل الى اصلاح المجتمع المسلم بأكمله ، رجاله ونسائه ، الا اذا صلحت تربية بناته . . في حين لا يكفي لصلاح المجتمع الاسلامي ان يصلح رجاله فقط ، لان دور المرأة في التنشئة والتربية ، دونه بكثير دور الرجل.

وثاني هذه العوامل، احساسي بان دعاة الفكر الاسلامي المعاصرين، لم يولوا المرأة ما تستحقه من عناية ، في اطار التوعية الاسلامية التي اضطلعوا بها ، وفي اطار عملية التثقيف بصورة عامة . والحياة لا تعرف الفراغ ولا تقبله ، ولذا فان غياب التثقيف المستنير الفعال بالاسلام عن عالم المرأة ، قد اخلى المجال للتثقيف بغير الاسلام ودعوى

النهوض بالمرأة على غير أسسه ، وخاصة من خـــلال معظم المدارس الحديثة ، التي اتخـذت الفلسفة الاوروبية والنظرة الغربية الى الحياة ، قاعدة لها ومنطلقاً في عملية التثقيف . واذا ما اخذنا بعين الاعتبار ان التثقيف في الآونة الاخيرة كاد يصبح جماعياً للفتيان والفتيات، ادركنا ما له من اثر واسع ، وخطر كبير في غياب الفكر الاسلامي .

واذ اقوم بهــذه المحاولة المتواضعة في دراسة تربية الفتاة المسلمة ، ينبغي ان اذكر انني متأثر الى درجة كبيرة بمشاهدات وتجارب استقيت من الحياة لفترة محدودة في المجتمع الاوروبي ، ومن التدريس لجمـع مختلط من الطالبات والطلاب في الجامعة الاردنية ، ولمجموعة متفردة من طالبات كلية الشريعة في عمـــان ، ثم مشاهداتي عبر سني العمر في المجتمع الاسلامي الذي أنتمي اليـه ، سواء منه ما كان محلياً في البلد الذي اعيش فيه ، او عربياً ينتظم المجتمع العربي في وطن العرب الكبير .

مخاطــر

وقبل ان استرسل في شرح قضية التربية الاسلامية لفتياتنا، ينبغي ان انبه الى مجموعة من المخاطر التي تواجهها الفتاة المسلمة الحديثة، لان معرفة الخطر تقي منه ، وتشخيص الداء يساعد على علاجه . وبالوسع تلخيص هذه المخاطر بايجاز فيما يلي : ـ

أ ـ جهل الفتاة المسلمة بصورة عـــامة بالحضارة الاسلامية واسسها ومنجزاتها ، وما قدمته للانسانية جمعاء من خدمات كبيرة ، وما

اتسمت به من سمات مميزة لم تشركها فيها حضارات اخرى . واذا كانت الفتاة المسلمة تجهل هذه الحضارة في معطياتها الانسانية العامة ، فانها تجهل لسوء الحظ ، ما قدمته هذه الحضارة ،انطلاقاً من العقيدة التي قامت عليها ، من حقوق للمرأة ، وما وفرته لها من كرامة منذ حوالي اربعة عشر قرناً .

وحين آخذ على الفتـــاة المسلمة جهلها الحضارة الاسلامية ودور المرأة في هذه الحضارة ، لا اريد الايحاء بان كل معطيات التاريخ الاسلامي كانت امجادا متلاحقة ، اذ ان الذين شاركوا في صنع هذه المعطيات ، اصابوا واخطأوا مثلما يصيب الناس ويخطئون ولكن استفادة الافراد من تاريخ أممهم لم تكن في يوم من الايام قصراً على الامجاد ، اذ ان العثرات يستفاد منها كما يستفاد من الامجاد ، ورب عثرة جلبت عبرة وفائدة للاجيال اللاحقة ، مثلما تكون العثرات في حياة الافراد مصدر عبرة وفائدة لهم .

ولن يفوت الدارس لتاريخ الاسلام ان منزلة المرأة في المجتمع الاسلامي عبر العصور قد تراوحت علواً ونزولا ، بمقدار التزام هذا المجتمع بالنظرة الاسلامية الصحيحة الى المرأة . ومن هنـا وجد في تاريخنا بالنسبة الى المرأة التوازن النافع ، كما وجـــد التجاوز المفرط ، والتفريط المعطل .

ب ـ خلط الفتاة المسلمة في تقويمها لانماط الحياة في المجتمع المسلم ،بين ما هو اسلامي الطابع ،وبين ما هو تقليد لا صلة له اصلا بالاسلام ،

اذ هو لا يعدو ان يكون نتاج أعراف محلية او عرقية تطاول عليها الزمن ، فحسبت جزءاً من طرائق الاسلام في الحيـاة ، والاسلام منها براء . ولا ريب في ان الكثير من هذه الاعراف والتقاليد ، لا يتقبله العقل المستنير ، والمنطق السليم ، والذوق الرفيع .

وقد كانت نفرة الفتاة المسلمة منه ، نفرة ضمنية من الاسلام ، الذي حمل أوزاراً ليست باوزاره . ولم تجر حتى الان لسوء الحظ دراسة اجتماعية اسلامية تميز بين ما هو اسلامي في طرائق حياتنا وبين ما هو غير اسلامي ، لـكي تتضح الرؤية ، وتعطي الاحـكام عن معرفة وبصيرة .

جـ ـ تأثر الفتاة المسلمة بالحضارة الغربية الحديثه تأثراً كبيراً . وذلك امر طبيعي في اطار الظروف التي نعيش فيها . فمنذ ان التقت اوروبا بالشرق الاسلامي لقاء مباشراً في اواخر القرن الثامن عشر ، ظهرت هذه القارة للانسان المسلم عامة بمظهر القوة المتفوقة سياسياً وعسكريا وعلميا وحضاريا . ولم تفعل السنين اللاحقة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الشيء الكثير لتغيير نظرة المسلمـين الى اوروبا . بل ان التقدم السريـع الذي لا نظير له في حقلي العلم والتكنولوجيا الذي شهده الغرب خلال القرنين الاخيرين ، قـد عمق نظرة الإعجاب بالغرب والتسليم له بالتفوق عند الانسان المسلم. وحين اخذت بلدان العـالم الاسلامي بعض معطيات الحضارة

الغربية ، اخذت معها بالضرورة ، ودونما تخطيط او تمحيص او تصفية ، بعض منطلقاتها الفكرية ، التي كانت وليدة بيئة غريبة عنا ، فكان هذا الاضطراب والتبلبل الفكري الذي نعاني منه في الشرق الاسلامي . ونظرية اخـذ المغلوب عن الغالب وتأثره به ، نظرية قديمة ، تحدث عنها ابن خلدون في مقدمته كما هو معروف . ولعل من الطريف ، ونحن نتحدث عن الفتاة المسلمة ، ان نرى تطبيقاً مبكراً لهـذه النظرية عند المرأة المسلمة في الاندلس . اذ يحدثنا التاريخ ان المرأة الاندلسية المسلمة ، لم تتأثر بالمحيط الاسباني ابان قوة المسلمين وغلبتهم ، ولكنها لم تلبث بعد غلبة الاسبان ، وعلى وجه التحديد منذ القرن الخامس الهجري ، ان تشبهت بهم في المظاهر ، فلبست المناطق الاسبانية ، وخرجت مكشوفة الرأس والصدر !

واذا ما تذكرنا ثورة المواصلات الحديثة ، التي ربطت اجزاء العالم الحديث بعضها ببعض بصورة لم يسبق لها مثيل ، واذا تذكرنا مع ثورة المواصلات هذه الثورة الاعلامية بكل ما لها من وسائل وادوات متطورة ، استطعنا ان ندرك بعـــد ذلك زخم التأثير الغربي على فتياننا وفتياتنا .

د ـ **الاستعداد الطبيعي عند الفتاة للتقليد . فاذا كان الرجل والمرأة المسلمان على السواء لا بد ان يتأثرا بزخم الحضارة الغربية ، فان الفتاة اكثر تعرضاً للمحاكاة والتقليد ، لانها بطبيعتها تجري وراء**

ما هو عصري وجديد حتى لا تتهم بالتخلف . وما اهتمام المرأة المتميز بالازياء – اذا ما قيست بالرجل ، الا صورة من حرصها الطبيعي على ان تكون عصرية في مظهرها . وما دامت اوروبا هي مصدر الحداثة والعصرية ، فالفتاة المسلمة المثقفة بصورة عامة ، تابعة لاوروبا ، مقلدة لها . وتصبح هـــذه التبعية أشد ايغالا ، عند اهتزاز الثقة بالذات ، خاصة اذا كانت هذه الثقة المهتزة تتناول شعبا وتاريخا ومقومات حضارة ، لامجرد افراد .

٥ – ويقودني ذلك تلقائياً الى قضية تلحق مباشرة بسابقتها – تلك هي عدم الاقتصار على الجهل بشخصية الامة الحضارية وتاريخها فحسب ، بل الوقوف منها موقف الاستخفاف ، بـل وموقف العداء احياناً !

ولئن كانت بذور هذا الموقف قد وجدت لدى فئة من المسلمين منذ اللقاء الحديث مـــا بين اوروبا والمشرق الاسلامي ، بسبب انبهارهم بالحضارة الغربية وشعورهم بالتضاؤل ازاءها ، فان موقف العداء هذا قـد قوي وتعزز وانتشر ، بعد الهزائم المتلاحقه التي تعرض لهـا العرب في فلسطين منذ عام ١٩٤٨ . والتاريخ يقدم الشواهد الكثيرة على ان انهزام امة من الامم سياسيا وعسكرياً ، يستتبع بصورة تلقائية تقريباً ، الوانا من الهزيمة الحضارية ، مع ان تاريخ الاسلام دون غيره من تواريخ الامم ، قد قدم لنا شواهد على يقظات اسلامية جديدة ، فى اعقـــاب الهزائم العسكرية

والسياسية ، كما حدث على سبيل المثال بعد الحروب الصليبية والغزو المغولي ، وكما اتوقع ان يحصل في عالمنا العربي الاسلامي ، ولو بعد حين . غير ان هذا لا يمنعنا من ان نرى اعراض الداء كما هي قائمة في الوقت الحاضر ، وان نرى هذا الموقف الذي لم يسبق له مثيل في إزراء الانسان العربي بتاريخه وتراثه وماضيه وحضارته ومقوماتها . والذي اؤمن به ، ان هذا الموقف العدائي من تاريخ الاسلام وحضارته عند عدد لا يستهان به من الشباب المسلم ، لم يكن مجرد رد فعل عفوياً فحسب للهزيمة ، بل خطط له اعداء الاسلام داخل الوطن الاسلامي وخارجه تخطيطاً علمياً دقيقاً ، مستغلين ما يمكن ان يسمى بروح الهزيمة عند الشعب المنهزم Psychology of defeat ، وهي الروح التي تدفعه الى تصديق كل ما يقال في تعليل هزيمته . ومازلت اذكر ذلك المقال الطويل الذي نشرته مجلة The Time Magazine الاميركية بعد هزيمة ١٩٦٧ ، تحت عنوان : « سقوط حضارة » (The Fall of a Culture) ، حيث زعمت ان الاسلام واللغة العربية ، كانا وراء هزيمة العرب ، كانما حارب العرب حرب ١٩٦٧ بروح اسلامية وحافز اسلامي ، وحسب متطلبات الاسلام وقواعده ! ولعل من نافلة القول ان ننبه الى ان الامه التي تدخل في صراع حضاري مع امة اخرى ، تفقد نصف المعركة سلفاً ، اذا ما دخلت الصراع وهي غير مؤمنة بشخصيتها الحضارية ومقومات وجودها ، وذلك لانها تفقد سلفاً

اكبر حافز على القتال والصبر والاحتمال . ولعل هذا هو ما يراد بامتنا على وجه التحديد في هذه المرحلة من تاريخها ، حين يحرض ابناؤها على الازراء بتاريخها وحضارتها ، وبالتالي ، بالعقيدة التي قامت عليها هذه الحضارة .

ح ـ انعدام الوعي الاسلامي الصحيح في الاسرة التي تنشأ فيهـــا الفتاة المسلمة ، وخـاصة عند الامهات . فالام في الاسرة المسلمة غالباً ما تكون واحدة من اثنتين : امـــا مسلمة تقليدية ورثت الاسلام كما ترث ايا من تقاليد المجتمع الذي تعيش فيه ، وبذا فهي تفتقر الى النظرة الواعية المتعمقة في الاسلام وخصائصه ، ممـا يترتب عليه ضعف تأثيرها في ابنتها اسلامياً ، لان فاقد الشيء لا يعطيه ، واما امرأة عصرية ، لا تكاد تعترف بالاسلام عاملا من عوامـــل تكوينها الفكري والواجدني والسلوكي . وليس في مقدور ام كهذه ، ولا مما ترغب فيه ، ان تنشيء ابنتها تنشئة اسلامية ، بل هي قد تقف للاب بالمرصاد ، اذا ما حاول «سوق» ابنته في طريق الاسلام ، وترى في ذلك تشدداً وتزمتاً وارهاقـاً للفتاة ، التي ينبغي ان تأخذ حظها من متع دنياها . وهي تنسى بذلك ان انضباطية الاسلام وحرصه على سمة التوازن في الفتى والفتاة على السواء ، هما اللذان يوفران في المدى البعيد، السعادة والراحة النفسية لهما .

ط ـ وهناك انعدام التواؤم ما بين المؤثرات التي تحيط بالفتاةالمسلمة،

مما يتركها نهباً للافكار المختلفة ، بل المتضاربة احياناً . فقدتوجه الاسرة فتاتها توجيهاً معيناً ، وتوجهها المدرسة توجيها آخر ، ويسيرها بجتمعها الصغيرفي الحي والشارع سيراً مخالفاً. بينما يسير بها مجتمعها الكبير في المدينة والبلد في اتجاه غير متناسق مع كل الاتجاهات السابقة . ولا ننسى ان المجتمع الحديث بوسائل اعلامه ونشره التي تقتحم البيت عــلى الفتاة شاءت ام ابت ، له من وسائل التأثير ما لم يكن متوافرا للمجمتعات السابقة .

ان معظم امم العــالم ، تصدر في سياساتها الداخلية والخارجية والتربوية والاقتصادية عن فلسفة جامعة موحدة ، فيكون ثمة تناسق وتوافق ، ولو في الخطوط العريضة ما بـين توجيهات الاسرة والمدرسة والمجتمع ووسائل النشر والاعلام . ومــا ادري ماذا سيكون جواب المسؤولين في كثير من بلادنا الاسلامية عن السياسة العامة الموحدة ، الموجهة لمناشط الدولة المختلفة .

ي - وآخر ما يرد في الذهن من الخواطر المرتبطة بالمخاطر التي تتعرض لها الفتاة المسلمة وبصورة خاصة ، الفتاة المثقفة ، التأثر بموجة الثورة العالمية التي تجتاح شباب العــالم وتؤثر على موقفه من مواريث الانسانية ونظمها القائمة ، بكل مـا يقف وراء هذه المواريث والنظم من مثل وقيم . فالمعروف ان هناك عوامل تاريخية وسياسية واجتماعية واقتصادية قد تركت اثرها في نفوس الشباب ، وبالاخص شباب الجامعات الغربية ، ممــا حفزهم على

الثورة على كل شيء في بلادهم ، ورفض كل شيء . وننسى نحـن ، او ينسى العديد من شبابنا الجامعيين ، ان حوافز الرفض وافكار الضياع التي اثرت على شباب الغرب ، هي غير الحوافز القائمة عندنا . كما ينسون انــه اذا كان الشباب الغربي يبحث عن مثيرات فكرية وشعورية يلون بها حياته ويجعلها احفل وأحر ، بعد ان ضمن له مجتمعه لقمة عيشه وهيأ له تعليمه وأمن له مستقبله ، فان الشباب المسلم في مختلف اقطار الاسلام ، ما يزال امــامه من مشكلات الحياة الخطيرة التي تحف به في اطار امته وأسرته وشخصه ، مـا يملأ فراغه ويشغل وقته ، ويجعل حياته جادة بحكم الضرورة ، لا مجال فيها لعبث مضيـع أو لترف فكري وسلوكي !

عرض تاريخي لماح

وقد يغرى المرء عند هذا الموضع ، بعد التعرض للمخاطر التي تحف بالفتاة المسلمة ، على ان يقدم افكاراً حول علاج هذه المخاطر . ولكنني رأيت قبل ذلك ، ان اقدم عرضاً تاريخياً سريعاً لماحاً لمـا كانت عليه الفتاة المسلمة منذ صدر الاسلام وحتى وقت متأخر ، من اجل المقابلة والمقارنة ، والعبرة والاستفادة ، منبها بادىء ذي بدء الى ان وضع الفتاة المسلمة لم يكن عبر تاريخنا الطويل مثاليا ومنسجما مع الاسلام ؛ بل هو وضع تراوح بين ما هو اسلامي حسن وما هو سيىء غير اسلامي . وقد نبهت منذ البداية الى ان استيعاب الانسان لتاريخ امته ، لن تكون فائدته مترتبة على الامجاد والايجابيات فقط ، اذ قــد تستقى العبرة والفائدة من العثرات والسقطات كذلك .

اول ما نلتقي مع المرأة في صدر الاسلام ، عندما احدث الاسلام في مجتمع الجزيرة العربية ثورة اجتماعية لم تعرفها الجزيرة من قبل ، تناولت ضمن ما تناولت المرأة العربية ومنزلتها في المجتمع والحياة ، فاحدثت انقلاباً جذرياً في حياتها ومنزلتها والدور الذي تضطلع به . فقد ضمن لها الاسلام طفلة وليدة حق الحياة ، وقد كان في بعض اوساط الجزيرة موضع تساؤل ، وكرامة الانسان – خليفة الله في الارض ، كاملة غير منقوصة ، وحق التملك والوارثة والتعلم ، وضمن لها الحياة الكريمة ابنة وأختاً وزوجة وأما وأيماً . اما بالنسبة الى التعلم ، فقد كانت فضلاً عن مشاركتها الرجال في الحضور الى المسجد للصلاة والتلقي عن الرسول ، تشهد يوماً خاصاً بالنساء تلتقي فيه النساء مع الرسول عليه السلام ويستمعن منه ، بعد ان استجاب الرسول لطلبهن بان يخصص لهن يوم في الاسبوع يلتقين فيه ويتعلمن منه .

وقد ترك ذلك اثره في الوان من نشاط المرأة ، شمل المشاركة الفعلية في الجهاد والاعانة عليه ، وكذلك المشاركة في الحياة الاسلامية العامة والعلوم المعروفة اذ ذاك ، بما يتطلبه ذلك من جرأة جسدية وأدبية . فأم عمارة ، نسيبة بنت كعب المازنية ، كانت ثانية اثنتين شهدتا العقبة الكبرى ، واول مبايعة للرسول عليه السلام ، كما شهدت غزوة احد ، وبيعة الرضوان ويوم اليمامة ، حيث كانت تقاتل مع ابنها عبد الله حتى قتل مسيلمة ؛ وقد قطعت يدها في تلك المعركة ، واصيبت باثني عشر جرحاً !

وأم الحرام الرميصاء بنت ملحان، زوجة عبادة بن الصامت ركبت البحر مع زوجها حينما غزا معاوية قبرص، واستشهدت في هذه الغزوة عام ٢٧ هـ ودفنت في بيروت ، ومـــا يزال مقامها قائماً في جبانة الباشورة

وكانت ام المؤمنين عائشة تجيد الكتابة ، وقد روت عن زوجهـا عليـــه السلام (٢٢١٠) احاديث ، برغم ان النبي توفي عنها وهي في التاسعة عشرة . وكانت ادق في الراوية من ابي هريرة . كما كانت تجمع الى رواية الحديث رواية الشعر والادب والتاريخ ، وتلم بشيء من طب عصرها وما كان يعرف اذ ذاك من علم بالفلك والكواكب والانواء والانساب . وقد ادرج محمد جميل بيهم في كتابه « المرأة في حضارة العرب » اسماء سبع من المحدثات من غير بيت النبوة ، فضلاً عن اسماء الكثيرات ممن كن ينظمن الشعر ويحسن الخطابة في صدر الاسلام .

وبقيت المرأه المسلمة في عصر بني امية ، تجمـع الى شجاعة القلب شجاعة النفس ، وبلاغة القول ، وحسن الادراك ، والمشاركه في الحياة العامة ، كما يتبين على سبيل المثال من مشاركة عدد من النساء في الذب عن حـق علي كرم الله وجهه بالسنان واللسان ، ومن المساجلات التي كانت تقوم بين هؤلاء النسوة وبعض خلفـاء بني امية ، وكذلك من مشاركة المرأة الخارجية في حياة الخوارج الحافلة الحارة المحفوفة بالوان المخاطر .

واما حديث سكينة بنت الحسين وسماعها للشعر في منزلها ونقدها

الشعراء والمقابلة بينهم، فحديث مشهور، ولم يعد (دي سلان) الحقيقة حين قال فيها : « اشهر نساء عصرها واعلاهن مقاماً ، واوفرهن ذكاء وعقـــلاً وادباً وأحدهن جنانا ، احرزت قصب السبق في مضمار الادب ، والتف حولها الشعراء والادباء » . وحديث عائشة بنت طلحة معاصرة سكينة ، يدعم هو الآخر مـــكانة المرأة في العصر الاموي واثرها في مجتمعها وفي حياة عظماء الرجال في عصرها .

ولا بد من الاعتراف بان المرأة المسلمة بصورة عامة ، قد تعرضت لانتكاسة إبان حكم العباسيين ، وذلك لاسباب : منها ذلك التحول الذي طرأ على اسلوب الحكم ومنهج الحياة عامة ، فأضفى على الحكم والمجتمع طابعـــاً يختلف عن الطابع العربي الاسلامي ، الذي اتسم بالبساطة والصراحة ، والقرب ما بين الحـــاكم والمحكوم ، وبروز شخصية الفرد . ومن هذه الاسباب كذلك الافراط في اختلاط الدماء والانساب، وشيوع اتخاذ الجواري على نحو لم يعرف من قبل، واستغلال رخص الاسلام استغلالاً مسرفاً ، كتعدد الزوجات والتسري والطلاق المفـرط .

وكان من الطبيعي ان ينشأ عن ذلك كله تنافس ضيق فيما بين النساء لكسب الرجل ، فانحصرت تطلعات الكثيرات منهن في حدود ضيقة واهداف صغيرة، بعد انفساح الآفاق التي كان الاسلام قد فتحها للمرأة، ورحابة الميادين التي تهيأت لها . وكان ذلك سبباً في اساءة الظن بالمرأة والحديث عن كيدها ، ومن ثم التضييق عليها .

ومع ذلك ، فـــان الجذوة التي اوقدتها عقيدة الاسلام في المرأة المسلمــة ، لم تنطفىء في نفوس العديدات من النساء ، فالعصر العباسي الاول شهد مجموعة من النساء اللواتي شهرن بالزهد وعلى رأسهن رابعة العدوية . وفيه عاشت السيدة نفيسة الحسنية العلوية التي سمــع الامام الشافعي عنهــا الحديث في مصر (ت ٢٠٨ ﻫ) . وقد اورد مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي اسماء عــدد كبير من عالمات هذا العصر اللواتي روى عنهن كبار العلماء .

وحتى عندما اخذت دولة بني العباس في التفسخ والانحلال السياسي والاجتماعي في القرن الرابع الهجري وما تلاه من قرون ، لم يخل العالم الاسلامي من نساء بارزات يشاركن الرجال في العلم والمعرفة والتربية ، بل ويفقنهم احياناً . نذكر منهن على سبيل التمثيل لا الحصر ، كريمة بنت محمد بن حاتم (ت ٤٦٦ ﻫ) التي ادركت في الحديث ما لم يدركه سواها من النساء ، وكان العلمـــاء يرحلون اليها والطلاب يقبلون على درسهـــا . وفاطمة بنت الشيخ ابي علي الحسن بن علي الدقاق زوجة القشيري امام الحرمين المتوفاة سنة ٤٨٠ ﻫ ، وكانت كبيرة القدر عالية الاسناد ، روت عن الاسفرايني والعلوي والحــاكم . وتقية بنت ابي الفرج الارمنازي (ت ٥٧٩ ﻫ) ، التي اخذت العلم عن الحافظ السلفي ففاقت الرجال فيه ، وكان لها لقــاء وحديث مع صلاح الدين . ورقية بنت العفيف بن عبد السلام ، وكانت في المدينة محدثة عن شيوخ مصر والشام ، وفتحت فيها درساً للحديث ، فاصبحت من مشاهير المحدثين

في الحجـاز . وفاطمة بنت علاء الدين محمد ، وهي سمرقندية الأصل ، شامية الدار ، من اهـل القرن السادس للهجرة ، وقد تلقت العلم عن علماء كثيرين ، واشتهرت بالفقه والحديث ، وكان لها حلقة درس اخذ عنها فيها الكثيرون ، والفت عـدة مؤلفات في الفقه الحديث ، وكان نور الدين يبرها ويرجع اليها في القضايا الفقهية .

واذا كان مصطفى جواد ينوه في مجلة « الاخاء » العربية الصادرة في اول عام ١٩٦٢ في طهران باسماء تسع وثلاثين عالمة في العلوم الدينية عشن في القرن السادس للهجرة ، فـــان المؤرخ والمحدث المشهور ابن عساكر ، من ابناء ذلك القرن ، قد أخذ وحده العلم عن نيف وثمانين عالمـــة !

ولئن كانت المرأة المسلمـة في المشرق الاسلامي قد نالها شيء من التضييق في ظل دولة العباسيين ، فان اختها في اقصى اقطار العالم الاسلامي غرباً ـ في الاندلس ـ قد مارست شيئاً من استرسال وافراط منذ القرن الخامس الهجري . وما من ريب في ان الاسلام الذي يرفض الحجر على طاقات المرأة ، والتضييق عليها ، هو الاسلام الذي يرفض انفلات المرأة من ضوابطه . والذي يبدو ان انفلاتاً كهذا من ضوابط الاسلام قد وقعت فيه المرأة الاندلسية ، أو بعض نساء من قطاعات اجتماعية معينة في الاندلس . ومع اننا نحمد للمرأة الاندلسية مشاركتها القوية في الشعر والادب ، الا ان صور الاسترجال والاسترسال التي تبدت في امثـــال ولادة ، ومهجة القرطبية ، ونزهون الغرناطية ،

وحنصمة الركونية ، لم تكن مما يرضاه الاسلام للمرأة المسلمة ، وقد سبقت الاشارة الى تأثر المرأة المسلمة بالحياة الاسبانية عند تضعضع الحكم الاسلامي . وهناك روايات عن عدم تستر المرأة الاندلسية المسلمة وقلة احتشامها ،وانتشار الاضراب عن الزواج في الوسط النسائي الاندلسي الراقي ، مع ما استتبعه ذلك من مآس اجتماعية .

وثمة حديث مستفيض عن مشاركة المرأة الاندلسية في آداب العصر وعلومها ، حتى قيل انه كان في الاندلس ستون الف شاعرة اكثرهن من غرناطة ، فضلاً عن وجود طبيبات اندلسيات ، منهن اخت الحفيد بن زهر وابنتها ، وقد ذكرهما صاحب طبقات الاطباء ، وكان المنصور بن ابي عامر (ت ٤٨٣ هـ) لا يدعو احداً لمعالجة اهله غيرهما . وكان في الاندلس كذلك معلمات كثيرات ، منهن مريم بنت ابي يعقوب الانصارى التي وصفها ابن دحية في « المطرب » بقوله : « اديبة شاعرة مشهورة كانت تعلم النساء الادب . وقد تخرج في مدرستها طائفة من شهيرات النساء » . « ووجدت العالمات الاندلسيات في الشؤون الدينية بعشرات الالوف، وقيل ان الواحدة منهن كانت ترفع قنديلاً فوق بيتها في الليل اشارة الى انها حافظة للقرآن » . (انظر المرأة في حضارة العرب لمحمد جميل بيهم) .

وفي خضم الكوارث السياسية والاجتماعية التي ابتليت بها البلاد الاسلامية بعد الحروب الصليبية والغزو المغولي وسقوط الاندلس، ظهر على المسرح نفر من رجال الدين والعلماء المتزلفين للحكام عجزوا

عن ان يجعلوا من الاسلام قوة مشعة مؤثرة ، واصاب الامــة كثير من مظاهر الانحطاط ، كان منها تدهور وضع المرأة ، وقــلة حظها من التعليم . فقــد كانت النساء المتعلمات في مصر سنة ١٩١٧ لا يزدن عن ٢١ في الالف ، ولم يكن وضع المرأة الثقافي والاجتماعي في بلاد الشام والعراق والمغرب بافضل من وضعها في مصر .

واستقبل العالم الاسلامي ، ومنه العالم العربي ، مرحلة جديدة من حياته في القرون الثلاثة الاخــيرة ، حين اتصل باوروبا والحضارة الغربية ، وفي هذه المرحلة استقبلت الفتاة عهداً جديداً من التثقيف والتعليم ، ولكن نقطة الضعف في الثقافة الجديدة ، انها لم تكن متكئة على اسس اسلامية ، ولم تكن تمثــل تطوراً من الداخل في الفكر الاسلامي والتربية الاسلامية ، فكان هذا الفصام الضار ما بين ثقافة الفتاة المعاصرة ، وجذور الثقافة الاسلامية ومنطلقاتها وقيمها .

افكار حول تربية الفتاة المسلمة المعاصرة

اسميت البند الاخير من هــذه الدراسة المتواضعة « افكار حول تربية الفتاة المسلمة المعاصرة » لان ما سأورده تحت هذا البند لا يعدو ان يكون افكاراً مستقاة من التجربة والمشاهدة والمطالعة ، وهي لذلك لا تكون خطة دقيقة مترابطة الحلقات .

ولعــل نقطة البدء الطبيعية في ثقافة الانسان المسلم ، فتى كان او فتاة ، هي الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . وكما هو متفق عليه الآن ، فان لفظة « مسلم » في

الحديث وصفية ، يقصد بها كل من اعتنق الاسلام ، ذكراً كان او انثى .

ولعلنا نحن ابناء القرن العشرين ممن تعودنا على الزامية التعليم ومجانيته في مراحله الاولى على الاقل ، لا نقدر حق القدر ، قولاً يصدر عن الرسول الذي حمل عقيدة الاسلام الى الناس ، قبل حوالي اربعة عشر قرناً ، يعلن فيه ان الفتى المسلم والفتاة المسلمة ملزمان بتلقي العلم . بل ان الامر يعدو فكرة الالزام الى فكرة اعتبار التعلم فريضة من الفرائض ، اي نوعاً من انواع العبادة المفروضة على المسلم . وأي تكريم للتعلم ، يزيد عن عده عبادة مفروضة يتقرب بها المتعلم الى الله ؟ !

وتبلغ العناية بالبنت على وجه الخصوص ، آفاقاً سامية سامقة في الاسلام حين يقول نبي الاسلام صلوات الله عليه : « من عال بنتين او ثلاثاً ، او اختين او ثلاثاً حتى يبن او يموت عنهن ، كنت انا وهو في الجنة كهاتين ، واشار باصبعه السبابة والتي تليها » . ويعضد هذا ما جاء في حديث اخر فيه اشارة واضحة الى التثقيف : « من كان له ثلاث بنات او ثلاث اخوات او بنتان او اختان فاحسن صحبتهن واتقى الله فيهن وفي رواية : فأدبهن ، وأحسن اليهن وزوجهن فله الجنة » . بل ان الرسول عليه السلام قرر حق البنت في المساواة مع الولد في المعاملة ، ووعد أباها الاجر على رعايتها حين قال صلوات الله عليه : « من كانت له انثى فلم يئدها ، ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها ، أدخله الله الجنة » .

فاذا ما انطلقنا في تربية البنت وتعليمها من حق قرره لها الاسلام، بل اعتبره نوعاً من العبادة التي يتقرب بها الى الله ، فاننا نعرف طبيعة الطريق الذي سوف تسلكه الفتاة المسلمة في عملية تعلمها - طريق الارتباط بالله منذ البداية وحتى النهاية . ويعني ذلك في المفهوم العملي ، ان تكون الفتاة المسلمة ، مستحضرة الله في تفكيرها واحاسيسها ووجدانها وهي تتعـــلم ، حتى تكون أية معرفة تكتسب ، في أي مرحلة من مراحل التعليم ، في ظلال الصلة ما بين الله والانسان . ونحن لا نريد للفتاة المسلمة ان تحصر دراستها في اطار العلم الديني ، ولكننا نريد ان لاتنعزل في اي طور من اطوار دراستها ، ومهما كانت المادة التي تدرسها عن الاسلام ، بوصفه القاعدة الفكرية لكل ما تدرس .

ومما يوجب اعتزاز الانسان المسلم ، ان يعرف انه وجد من بـين المسلمين في القرن الرابع الهجري اي العاشر الميلادي ، من ينادى بصراحة بمسؤولية الدولة المسلمة عن تثقيف ابنائها وبناتها . فقد كتب الحسن القبيسي من ابناء القرن الرابع رسالة اوضح فيها ان التعليم حق يجب ان تضمنه الدولة لناشئة المسلمين اولاداً وبنات . ومضى يفصل حق البنت المسلمة في التعلم ، فذكر ان الفتاة المسلمة ، ينبغي ان يتاح لها ان تتعلم كما يتاح للفتى ، ما دام الاسلام قد أريد به ان يكون للذكر والانثى على السواء ، ولان الله جـل وعلا خاطب في كتابه المؤمنين عامة ، رجالا ونساء على حد سواء .

ولقد سبق عالم من علماء المسلمين – هو الشاطبي – زمنه بمراحل كثيرة حين نادى منذ قرون بان يتاح التعليم للجميع ، وفقاً لمقدرة كل فرد وطاقته ، وبان يسير الجميع في البداية في طريق واحد ثم تتاح الفرصة للقادرين منهم بان يواصلوا التعلم الى آخر مدى مستطاع .

واذا كنا نعتقد بوجوب فتح باب التعلم على مصراعيه للفتاة المسلمة ، فانه ينبغي ان نركز بصورة خاصة على انواع من الثقافات تنسجم مع طبيعتها والدور الرئيسي الذي تضطلع به في الحياة . ينبغي الا ننسى في زحمة الأندفاع نحو العلوم الحديثة ، ان اهم دور تلعبه الفتاة المسلمة في الحياة ، هو دورها في الاسرة : زوجة وأماً ومربية . وانني لاعتقد اعتقاد اليقين ان هذا الدور في حقيقته اكثر اهمية في المجتمع ، من اي دور قد تقوم به امرأة في اية وظيفة مهما علت ، ولو كان دور رئيسة وزراء ! فالمرأة التي تستطيع بدينها وثقافتها وحسن تصرفها ان توجد الاسرة السوية ، تقدم للمجتمع اغلى ما يمكن ان يقدم اليه : الخلية الاجتماعية السليمة . ولا يمكن تصور المواطنة الصالحة في اي بلد من البلدان ، دون تصور الاسرة الصالحة المتماسكة . والاسرة الصالحة تتجاوز الفائدة منها المجتمع الى الانسانية جمعاء ، وقد لعب الاسلام دوراً عظيماً في الحفاظ على الاسرة المسلمة حتى وقتنا الحاضر ، بل ان تماسك الاسرة المسلمة عبر التاريخ ، كان له اثره في بقاء الحضارة الاسلامية حية حتى الان ، بالرغم مما تعرضت له من هزات عنيفة .

وان المرء ليعجب من نفر من النـاس ، يرون تفرغ المسلمة المثقفة لشؤون اسرتها نوعاً من هدر الثقافة وعدم استغلال الطاقة ، كانما كانت الاسرة ، مصنع الرجال والنساء ، والمكان الاول لاعـداد المواطن الصالح ، شيئاً غير ذي اهمية في حياة الامة ، ولا يستحق ان تخصص له طاقات النساء القديرات الذكيات وثقافتهن ؟ ! ان اعظم النساء هن من يقدمن للمجتمع اصلح الابناء والبنات ، لا اللواتي تسلط عليهن الاضواء في الحفلات والصالونات ، ويشغلهن بريق الشهرة عن القيـام بالدور الكريم الخالد للمرأة .

والغريب اننا نصم اذاننا عن الصيحات التي تتصاعد باستمرار من الغرب عن اثر غيـاب المرأة عن اسرتها وبيتها في تفسخ الاسرة وتحطمها ، ومن ثم في المفاسد الاجتماعية الرهيبة التي يعاني منها المجتمع الغربي . تقول الدكتورة تشارز وادي ، وهي انكليزية التقيت بها في لندن ، وتحتل مكاناً بارزاً في هيئة من هيئات الاصلاح الانجليزية ، تقول في معالجة لها لمخاطر الحضارة الغربية : ان انحلال الغرب يثير اكبر المخاوف في العالم الاسلامي ، وخاصة فيما يتعلق بتأثيره على الشباب . ويتبدى هذا الانحلال في الثغرة التي تفصل ما بين تقدم في التكنولوجيا وتاخر في الخلق ، وخـاصة فيما يرتبط بتفسخ الاسرة ، وبالمقاييس الانحلالية فيما يتعلق بالجنس واكتساب المـال ، وفي الانتشار الواسع لاستعمال المخدرات والكحول . ثم تتساءل . اي اسهام يمكن ان يسهم به الاسلام لايقاف هذه الاتجاهات ، ثم تغيير مسيرتها ؟

وحين نركز على دور المرأة في الاسرة لا يعني انه لا يجوز لها ان تعمل خارج البيت في جميع الاحوال . فهناك الكثير مما يمكن ان تعمله، وخاصة في ميادين الطب والتمريض والتربية والتعليم والخدمات الاجتماعية ، وما يرتبط بامور النساء واحتياجاتهن بصورة عامة .

ولكن عمل المرأة خارج البيت والاسرة ، لا يجوز في حال من الاحوال ، ان يكون على حساب متطلبات الاسرة واحتياجات الزوج والولد . فحينما قامت مثل هـــذه الاحتياجات ، فلا مجال للتردد في اختيار الموقع الذي ينبغي ان تكون فيه المرأة . وما ستخسره المرأة من دخل اذ تتفرغ لاسرتها وابنائهـــا ، لا يساوي شيئاً مما تكسبه الاسرة والمجتمع والانسانية جمعاء ، من وجود المرأة في بيتها ، تدعم الزوج وتربي الولد وتنظم الحياة ، وتشيع المحبة والحنان في البيت . ولنتذكر هنا اذا أخذنا الامر من الناحية الاقتصادية المحضة ، انه لم يتوافر حتى الان عمل لجميع الرجال في البلاد الاسلامية ، وانه حين تتفرغ المرأة لاسرتها ، فانها تتيح بذلك مجال عمل لاخ من اخوانها ، قـد تكون مسؤولياته أكبر من مسؤولياتها ، واحتياجاته اعظم من احتياجاتها .

ان المرأة في الغرب قد تركت البيت وعملت خارجه ، لانها تعيش في مجتمع يفرض عليهـــا العمل لكي تضمن لنفسها العيش واساسيات الحياة . فالاب يشعر بانتهاء مسؤوليته عن فتاته في مرحلة مبكرة من العمر ، قد لا تتجاوز بلوغها السابعة عشرة من عمرها ، ولا مسؤولية

لاخ عن اخته اقتصادياً ، ودخل الزوج غير كاف لاعالة الاسرة . وفي مقابل ذلك ، ثمـــة مسؤولية اوجبها الاسلام على الرجل تجاه المرأة المسلمة ، يكون معها الرجل مسؤولا بحـكم الدين وقوانينه عن البنت والشقيقة والزوجة والام . ومعنى ذلك ان العمل خارج البيت لايعود ضرورة لازبه للفتاة المسلمة ، تختار فيما بينه وبين الجوع والعري ، بل هو نافلة من النوافل ، تمارسه ان كانت ظروفها ملائمة للعمل ، وتستغني عنه وهي موفورة الكرامة ، ان اختارت الا تعمل ، او اذا لم تتوافر لها الظروف الملائمة للعمل .

ان الذين عاشوا منا في الغرب ، يدركون بصورة خاصة مدى ما تتعرض له الفتاة الغربية من الم وعذاب نفسي اذ تفتقد الحنان والحب الطبيعيين اللذين يستمدان عـادة من الاسرة ، وذلك حين تنسلخ عن اسرتها من اجل العمل في مرحلة مبكرة من مراحل العمر ، فتضطر الى ان تنشد الحب والحنان خارج نطاق الاسرة ، وغالباً مـا تنتهي محاولتها بفقدان الكرامة ومعاناة الشقاء !

ولقد شهدت ، كما شهد آخرون من المسلمين الذين عاشوا في اوروبا ، كيف ان الفتاة الاوروبية التي انتزعت من اسرتها وتوجهت نحو المدن الكبرى للعمـل ، تشعر بفراغ اجتماعي ونفسي قاتل حالما تنتهي من عملها ، فتحاول عبثاً ان تتخلص منه باللهو او بالتماس الاخدان من الشباب ، فتكون مسلاة موقوتة لهـم ، يتركونها في النهاية كسيرة القلب محطمة النفس ، مسلوبة الكرامة .

وكم يكون مفيداً لو ان باحثاً اجتماعياً مسلماً قام بدراسة علمية لاحوال الفتاة الغربية ، مستعيناً بالاحصاءات والتقارير الرسمية في البلد المعني ، ثم نشر نتيجة ابحاثه لكي يطالعها الناس ، والفتاة المسلمة بصورة خاصة ، حتى تنجاب الغشاوة عن العيون وتستبين الصورة الصحيحة للفتاة الغربية التي تتصورها بعض فتياتنا انموذجاً يحتذى !

ان عدداً كبيراً من فتياتنا المسلمات اذ يقارن انفسهن بالغربيات او المستغربات ، يعانين من مركب نقص قائم على اساس الوهم ليس الا . وواجب المجتمع المسلم ، ألا يقتصر على تخليص الفتاة المسلمة من مركب النقص هذا ، بل عليه ان يعمل على ابداله بشعور استعلاء واعتزاز ، الاستعلاء الذي تحس به كل مؤمنة تستشعر ايمانها : « ولله العزة ولرسوله وللؤمنين » .

ينبغي ان يعالج مركب النقص هذا في الفتاة المسلمة منذ البداية ، وفي كل مكان ، بدءا من البيت ، وانتهاء بالجامعة ولا يكون ذلك الا بتوعية الفتاة المسلمة بخصائص العقيدة الاسلامية والتربية التي تنبثق عنها . وتتم التوعية في البيت والمسجد والمدرسة والجامعة ثم في كل مجال من مجالات التوجيه والتثقيف ، وفي كل مكان يكون للنساء فيه لقاءات واجتماعات ، فضلاً عن ضرورة الجمع في دراسة الفتاة ما بين العلوم الإسلامية وعلوم العصر الحديثة .

ذكرت المسجد ، وانا اعلم ان المرأة المسلمة قلما ترتاد المسجد في ايامنا هذه ، في حين انها كانت تفعل ذلك ايام الرسول عليه السلام .

وما ادري ما الذي جعلنا نرغب عن سنة الرسول واصحابه في مجتمعنا الحديث ، وهذا عبد الله بن عمر يقول « لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » . لقد اصبحنا نرى من الطبيعي ان توجد الفتاة المسلمة في دار السينما ، في حين ان وجودها في المسجد ، اخذ يتراءى لنا امراً غير طبيعي . ولئن كانت بيوت المسلمين في فترات سابقة من الزمن مساجد صغيرة تقوم مقام المساجد في تثقيف فتياتهم ، فان معظم هذه البيوت في وقتنا الراهن لا تضطلع بهـــذه المهمة ، ومن ثم كانت الحاجة الى ادخال المسجد في حيـاة المرأة المسلمة ، أمس في وقتنا الحاضر منها في اي وقت مضى .

لقد قامت في الوطن الاسلامى ، بعد الاحتكاك باوروبا وحضارتها جمعيات ونواد نسوية على غرار الجمعيات والنوادي الاجنبية ، من اجل توعية المرأة والنهوض بها اجتماعياً . ولسنا بالطبع من دعاة التعطيل العشوائي ، ولا نكتفي بمجرد رفض بعض من هذه النوادي والجمعيات القائمة ، ولكننا ننـادي بتنظيمات نسائية اسلامية ، من اجل توعية المرأة والاستفادة من نشاطها على أسس اسلامية . فالتعطيل والجمود مما لا طائل تحته ، والذي نريده كمسلمين ان تكون لدينا مؤسسات وجمعيات ونواد نسائية من اجل التوعية على أسس اسلامية ، والاصلاح على اساس اسلامي . ونحن لا نحصر مفهوم الأصلاح الاسلامي بكبح جماح المسترسلات المندفعات من فتيات الاسلام فحسب ، بل لتنبيه

المرأة المسلمة المتغافلة عن حقوقها ، كما قررها الاسلام ، لهذه الحقوق . ولم تكن السلبية في يوم من الايام أساساً لنهضة او اصلاح، بل الايجابية في الطريق الصحيح ، هي التي ينبغي ان تتخذ منطلقاً وسبيلاً في سبيل التغيير الى ما هو افضل .

اما في المدرسة والجامعة ، فان أي منهاج للتربية والتعليم ، مهما جل وسما ، لن يكون ذا نفع اذا لم تتوافر معه الطاقة البشرية المسلمة الخيرة الفعالة . واعني بهذه الطاقة نوعية المدرسين والمدرسات الذين يتولون تثقيف الفتاة المسلمة ، اذ ما لم يكن المدرس او المدرسة مؤمناً برسالة الاسلام متفاعلاً مع مبادئه في حياته وتصرفاته ، فضلاً عن كونه شخصية فاعلة مؤثرة ، فلن يترتب على اية معلومات تستقى من كتاب او محاضرة ، أثر عملي ، بل ستكون مادة جامدة ميتة ، مثل السطور والصفحات التي استقيت منها !

واذا كانت الجامعات في بلادنا بصورة عامة ، لا تتقبل لأسباب مختلفة ، فصل الفتيات عن الفتيان في كلياتها ، فان مستلزمات وجود الطالبة المسلمة في الجامعة ، غير منفصلة عن الطلاب ، ان تكون محتشمة احتشاماً كاملاً في ملابسها ، ومن الخير ان يخصص للطالبات حيثما امكن ، مكان خاص في قاعة المحاضرة ، كما تفعل بعض الكليات في جامعة دمشق مثلاً . فوجود الفتيات المسلمات المحتشمات في مظهرهن في مكان واحد مع الفتيان من اجل العلم ، حين يكون ذلك ضرورة ،

أمر مقبول، كما يمكن ان يستدل من وجود النساء في مسجد رسول الله، يسمعن منه كما يسمع الرجال ، دونما اختلاط مباشر ما بين الفريقين .

وانني لأتحدث عن تجربة شخصية حين اقول ان نفراً من طالباتنا في الجامعة الاردنية ، على قلة فيهن بالقياس الى بقية الطالبات ، كما ان جميع طالبات كلية الشريعة، قد اخترن سبيل الاسلام مسلكاً ومظهراً، فارتدين اللباس الاسلامي ، في وسط تختلط فيه الازياء ، وتنتسب الى اكثر من بلد ومصدر ، وتنبثق عن اكثر من عقيدة وفكر ، وان هؤلاء الطالبات المؤمنات برسالة الاسلام يمثلن في كل لقاء لهن مع زميلاتهن ، الانوثة الاسلامية العزيزة الكريمة على نفسها وعلى الله والناس ، وهن ينتزعن الاعجاب والاحترام والتقدير ، حتى ممن يخالفونهن في الاتجاه والتفكير ، وذلك لما يتمثل في تصرفهن من ثقة بالنفس واعتزاز بالايمان ، واستعلاء وتطاول على كل ما هو زائف وباطل وسطحي . وليس لباس الفتاة في حد ذاته بذي قيمة ، ان لم يكن تعبيراً عن موقف فكري معين لها ، وتمثيلاً لمبادىء وقيم تؤمن بها وتمارسها !

اما قضية مادة النشر ووسائل الاعلام وتوجيهها وجهة اسلامية ، او على الاقل وجهة غير مناوئة للاسلام ، فامر تتحكم فيه الدولة ، ولو انه يبقى لرجال الفكر الاسلامي دور يقومون به في حفز الدولة بمختلف السبل على انتهاج الطريق السليم في هذا المرفق الهام من الحياة الحديثة .

ايها الاخوة والاخوات الكرام

في ختام حديثي المتواضع هـذا اقول قولة التيقن الهادىء ، لا قولة الحماس المندفع ، ان السبيل الوحيد لاصلاح انساني شامل تحتاج اليه الانسانية جمعاء ، لا المجتمع العربي وحـده ، او المجتمع الاسلامي وحـده ، هو التربية الاسلامية ، وخاصة ما تعلق منها بالفتاة ، لانهـا التربية التي تربط الانسان على هذه الارض بخالق الارض والسموات ، ولانها تربية متكاملة محيطة شاملة تستهدف ايجاد الانسان الصالح على المستوى الانساني العـام ، وتفجر فيه جميع الطاقات الانسانية وينابيع الخير ، ثم تستغلها استغلالاً متوازناً، بحيث لا تطغى طاقة منها على الاخـرى . وهي التربية التي تري الانسان موضعه الصحيح من الكون الكبير الذي يؤلف هو جزءا منه ، وتوجه قلبه الى الله - الى مبدع الكون ومسيره الذي لا تخفى على علمه خافية في الارض ولا في السماء .

الدكتور محمود ابراهيم

الجامعة الاردنية